من اللفظ إلى الغاية: قراءة في المثل الشعبي العُماني في ضوء نظرية المسالك والغايات

From Utterance to Goal: An Analysis of the Omani Folk Proverb in Light of the Theory of Routes and Goals

10.35781/1637-000-206-006

د. ماجد بن حمد العلوي*

*أستاذ اللغويات المساعد (جامعة الشرقية)

الملخص

تتناول هذه الدراسة الدينامية التداولية والمقاصدية الأمثال الشعبية العُمانية بوصفها أنساقاً تعبيرية وحضارية تتجاوز الدلالة المعجمية المباشرة إلى فضاءات التفاعل الاجتماعي والحجاجي.

تهدف الدراسة إلى رصد حركة الأمثال العُمانية وتحليل أبعادها السيكولوجية والاجتماعية والثقافية، والكشف عن مقاصدها وغاياتها الكامنة خلف بنيتها اللفظية الظاهرة، وبيان دورها بوصفها أفعالاً كلامية وأدوات حجاجية تحقق التأثير المتبادل بين المتكلم والمخاطَب في سياقات التخاطب الاجتماعي.

وتعتمد مقاربة لسانية تداولية حديثة تقوم على تفكيك البنية التركيبية والبلاغية للملفوظ، وربط التحليل اللغوي بالمعطيات الخارجية والمقامية والأعراف الاجتماعية المتداخلة، مع الإفادة من نظرية المسالك والغايات للباحث د.محمد محمد يونس علي لاستجلاء آليات الاشتغال الذهني في إنتاج المثل وفهمه.

أما أبرز النتائج هي: فهم المثل العُماني لا يتحقق عبر المواضعات اللغوية السطحية فحسب، بل يقتضي اشتغالاً ذهنياً يستحضر السياق الزماني والمكاني والمعطيات الثقافية الخارجية.

وعليه يُعدّ المثل الشعبي ملمحاً حضارياً أصيلاً ولَبِنة تأسيسية في بناء الخطاب الاجتماعي العُماني وتشكيل الوعي الجمعي.

الكلمات المفتاحية: الأمثال العُمانية، التداولية، المقصدية، أفعال الكلام، الحجاج الاجتماعي، الخطاب الاجتماعي.

ISSN : 2410-1818

From Utterance to Goal: An Analysis of the Omani Folk Proverb in Light of the Theory of Routes and Goals

Dr. Mjid Bin Hamed AL ALawi

Abstract

This study investigates the pragmatic and intentional dynamics of Omani folk proverbs as expressive and civilizational systems that transcend direct lexical signification into the realms of social interaction and argumentation.

The study aims to trace the trajectory of Omani proverbs, analyze their psychological, social, and cultural dimensions, uncover the intentions and ultimate goals underlying their overt verbal structures, and elucidate their role as speech acts and argumentative devices that achieve reciprocal influence between the speaker and the addressee within social communicative contexts.

To this end, the research adopts a modern pragmatic-linguistic approach based on deconstructing the syntactic and rhetorical structures of the utterance, linking linguistic analysis to external contextual data, situational parameters, and intertwined social norms. Furthermore, it draws upon the Theory of Paths and Ends formulated by Dr. Mohammed Mohammed Younis Ali to illuminate the cognitive mechanisms involved in the production and comprehension of proverbs.

The primary findings reveal that the comprehension of Omani proverbs is not achieved merely through surface linguistic conventions; rather, it requires a cognitive operation that invokes temporal and spatial contexts alongside external cultural data. Consequently, the folk proverb stands as an authentic civilizational hallmark and a foundational building block in constructing Omani social discourse and shaping collective consciousness.

Keywords: Omani proverbs, Pragmatics, Intentionality, Speech acts, Social argumentation, Social discourse.

ISSN : 2410-1818

1. مقدمة:

ترقب هذه الدراسة حركة الأمثال العمانية، إذ تُعدُّ نهجا تعبيرياً يُضمِنُ المتكلم فيها زمرة من الإيحاءات السيكولوجية والاجتماعية والخبرات الحياتية في قالب بلاغي تتناسق الدلالات وتتحد مع المعاني من طريق العقل لا المواضعات اللغوية فقط؛ فالأمثال عند العمانيين -وغيرهم- تُفهم من خلال اشتغال ذهني يستعين فيه المتلقي بمعطيات خارجية لفهم مضامينه، وبما أن الأمثال قديما وحديثا لا يمكن التوصل إليها من طريق دلالة اللفظ، فإن عملية الفهم تتجه إلى تفكيك تركيبها لمعرفة حركة الأعراف المتداخلة فيها، وعليه تُعدُّ الأمثال العمانية ملمحا حضاريا لكونها لبنة من لبنات التخاطب الاجتماعي.

وانسجامًا مع البنية الوظيفية للأمثال، تسعى الممارسات اللسانية والتداولية الحديثة إلى مقاربتها بوصفها أفعالًا كلامية(Speech Acts) وحجاجا اجتماعيا يتجاوز البنية اللفظية الظاهرة إلى فضاءات المقاصد والغايات والتأثير المتبادل بين المتكلم والمخاطَب.

وعليه تكتسب دراسة الحركة المقاصدية والتداولية للأمثال العمانية قيمة علمية مهمة، لكونها رصداً لملفوظات سلوكية واجتماعية لا تُستوعَب دلالاتها عبر المواضعات اللغوية المباشرة فحسب، بل من خلال الكشف عن مقاصدها وأغراضها وغاياتها.

ولا يمكن التوصل إلى المقاصد الثاوية خلف المثل قديماً وحديثاً بملامسة دلالة اللفظ السطحي؛ إذ تتجه العملية الذهنية للفهم نحو تفكيك البنية التركيبية للملفوظ لاستغوار حركة الأعراف المتداخلة فيه، واستحضار المعطيات الخارجية والمقامية، أو بحسب تعبير عبدالقاهر الجرجاني ب«إحساس نفساني»[1] يجده المتلقي بعد تفكيك المثل ومعرفة مكانه وزمانه.

ومن ثمّ، يُعدُّ المثل العماني ملمحاً حضارياً بارزاً ولَبِنة أساسية من لبنات التخاطب الاجتماعي في الثقافة العمانية، وبناءً على هذا التأطير المفاهيمي الذي يربط بين البنية اللفظية والمقصد التداولي، ينتقل البحث في المبحث التالي إلى تحديد الأبعاد المنهجية للدراسة، ممثلةً في أهدافها، وإشكاليتها المحورية، وحدودها المتصلة بعلم اللهجات.

الأهداف:

إن من أهم ما يرمي إليه هذا البحث هو إعادة قراءة الأمثال العمانية قراءة تتجاوز ثنائية اللفظ والمعنى إلى تحليل في المرجعيات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي أوجدت هذه الأمثال وأكسبتها شيوعا وتوارثا بين الأجيال، حتى غدت عتبات ثقافية يلج المجتمع من خلالها إلى عوالم دلالية تصف

[1] – الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة/ دار المدني، جدة، ط3 1413هـ،1992م، ص546

ISSN : 2410-1818

الحالة الاجتماعية من حيث ثقافة المجتمع وتدينه ومستوى المعيشة فيه إلى غير ذلك من العوالم، ومن أهم النتائج المتوقعة ما يأتي:

النتائج المتوقعة

1- توثيق بعض الأمثال المتداولة شفويا بين الناس.
2- تحليل مقصود الأمثال، وظلالها الدلالية من خلال تتبع مسالكها وغاياتها.
3- اقتراح منهج معاصر لتحليل الأمثال كما وردت على ألسنة الناس.

الأهمية

تتحدد مبررات البحث وأهميته في مقاربة الأمثال العُمانية تفكيكًا وتحليلًا، للوقوف على عمقها الحضاري بأبعادها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وإجلاء دور التنوع البيئي والثقافي في إنتاجها وتوجيه دلالات الأمثال.

منهجية البحث

يتوسّل البحث في فحص ديناميكية الخطاب المثلي في عُمان بأدوات إجرائية متضافرة تمزج بين تحليل المسالك والغايات،[1] والتداولية التفاعلية (كتحليل المحادثة وأفعال الكلام)، والمقاربة الشمولية للتحليل؛ متسقًا في ذلك مع مقتضيات المنهج الوصفي التحليلي القائم على التماثل والتفكيك بعيدًا عن شروط الاستيعاب الإحصائي.

محاور الدراسة

قد اقتضت حيثيات الدراسة تقسيمها إلى مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة:

1- المدخل المنهجي والإبستمولوجي(Epistemology) للدراسة.
2- تحليل نظام الأمثال في مبناها ومعناها.
3- نماذج تحليلية.
4- الخاتمة.

[1] – نظرية المسالك والغايات تُنسب للدكتور محمد محمد يونس علي في كتابه (تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو بناء نظرية المسالك والغايات، من أهم أسس نظرية المسالك والغايات تجاوز ثنائية اللفظ والمعنى، ينظر، علي، محمد محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو بناء نظرية المسالك والغايات، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016م.

ISSN : 2410-1818

1- المدخل المنهجي والإبستمولوجي (Epistemology) للدراسة

ينطلق هذا البحث في مقاربته التداولية للغائية في الأمثال العُمانية من مدخل إبستمولوجي يتكامل فيه التأصيل النظري بالإجراءات التطبيقية؛ إذ يتدرج الطرح وفق نسقٍ منهجيٍّ يبدأ بتأطير المبادئ والخصائص الجوهرية، ثم يتبعه ببلورة أهمية الدراسة وأهدافها، وصولاً إلى رسم المعالم المنهجية الحاكمة لمسار التحليل.

أولاً: الأسس المفهومية والركائز النظرية للدراسة

يقوم البحث في تفكيكه للخطاب الأمثالي على أصلين منهجيين رئيسين:

1. القصديّة والمرجعيّة العُرفية للملفوظ الأمثالي

تُعدّ الأمثال العُمانية ملفوظات مقاصدية تتجاوز في دلالتها الحدود المعجمية الحرفية للكلمات، غير أنها في الوقت ذاته لا ترتقي إلى مستوى الملفوظات الدينية المسوّرة بنصوص أخرى تحكم معانيها وتضبط دلالاتها الكلية؛ وإنما تستمد مشروعيتها ودلالاتها من مرجعيات عرفية وثقافية منفتحة بالقدر الذي يحدده المتكلم ويرسمه لحظة إلقاء القول. ويترتب على اعتماد هذا الأساس المفهومي الكشف عن المرجعيات الأصيلة المنشئة لتلك الأمثال وتحديد أطُرها التفسيرية.

2. مقاربة قائمة على التنوع المكاني والاجتماعي

تقتضي طبيعة الأمثال العُمانية اتباع استراتيجية بحثية تتأسس على البُعدين المكاني والاجتماعي، وذلك عبر خطوتين تحليليتين:

- **الأولى: (دراسة المنشأ المكاني):** وتُعنى بفحص الأمثال فحصاً مستنداً إلى منشأ المثل وكيفية نشوئه، واستكشاف الفروق الدقيقة بين التركيب اللغوي ونظيره المشابه له في المقصد والمتمايز عنه في مفرداته المعجمية بسب التمايز الجغرافي والمكاني.
- **الثانية (تتبع الرواية اللغوية):** وتُعنى بتتبع الرواية اللغوية ورصد مدى تأثيرها في طبيعة المثال وطرائق استخدامه وتوظيفه التداولي.
- **مثال شارح:** لتوضيح هذه الفكرة، نورد مثلاً من أشهر الأمثال العُمانية تداولاً، وهو قول المتكلم: **«أخذت إحسانك بلسانك»**[1]؛ فهذا الملفوظ من الناحية الحرفية يحمل دلالات وظلالاً متعددة للمعنى، ولا يمكن تحديد الغرض القولي منه بدقة حتى يُسكَن في سياق لغوي معين أو موقف اجتماعي محدد، وحينها فقط يلزم المثل مقصداً تداولياً واحداً تتضاءل المعاني حوله، وهنا يجب أن ننبه إلى

[1] – الحميدي، خليفة بن عبد الله بن سالم. (1986). أقوال عمان لكل الأزمان (ج. 1، ط. 1، ص. 43)

ISSN : 2410-1818

سمة تجاذب المعاني، فالعلامة اللغوية في المثل تدل على علامة أخرى وتشير إلى مدلول كما أشارت بعض كتب التراث بأن «المعنى يجذب المعنى»[1].

1. التعرف على البُعد التواصلي للأمثال في المجتمع العُماني

يتميز المجتمع العُماني بعراقة تاريخه وبسجله الثقافي الحافل؛ وقد احتاجت الحياة الاجتماعية في عُمان إلى الأمثال لتكون ملفوظاً تواصلياً فاعلاً بين الناس. وعليه، يعمد البحث إلى جمع مجموعة من تلك الأمثال -ولاسيما ما يدخل منها في باب التذوق الجمالي، والإثراء الثقافي والتاريخي- معتمداً الجمع الوصفي التحليلي دون التقيد بالحصر والاستقصاء الشامل.

2. تحليل الأمثال وفق مرجعياتها المنشئة واللغوية

لا يقتصر البحث على تفكيك المرجعيات الثقافية والاجتماعية المنشئة للأمثال فحسب، بل يتتبع المرجعيات اللغوية لها، ورصد مدى اتصالها بالموروث اللغوي العربي الفصيح وجذورها التراثية.

3. الريادة المنهجية في دراسة كلام العامة

تظهر أهمية البحث في دراسة التداول اللغوي لكلام العامة وفق منهج وصفي يجمع البيانات عن الأمثال ويُفسر مضامينها وغاياتها، وهو ما يُمثل -بحسب اطلاع الباحث- مساراً علمياً غير مسبوق في هذا المجال على المدونة العُمانية.

4. استخلاص المكون الحضاري للأمثال العُمانية

يتحقق استخلاص المكون الحضاري عبر إجراءات منهجية محددة تشمل: رصد كلام العامة، واستخراج الأمثال منه، وتنقيتها من الألفاظ السوقية مع الاحتفاظ بمكونها التخاطبي الطبيعي في المجتمع العُماني، ثم تصنيفها بحسب التنوع المكاني والاجتماعي والزماني؛ لتغدو هذه الدراسة لبنة مرجعية يستبصر من خلالها الباحثون لإنجاز دراسات جادة ومستقبلية حول الأساليب البيانية والتداولية العُمانية.

[1] – فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، ط2 (قم إيران: دار الذخائر، 1368) 1:292.

ISSN : 2410-1818

م	المثل، (القول الشعبي).	البُعد	الصفحة	المعنى والمضرب
.1	أَحْوَجُ مِنْ فَأْرِ المَسْجِدْ	مكاني	42	يُضرب لشدة الفقر والحاجة المتقعة؛ لأن المسجد مكان لا يجد فيه الفأر ما يأكله.
.2	إِذَا بَغَيْتْ تِنْحَبّ تَغَرّبْ وَلاَ مُوتْ	مكاني	49	يُضرب في التباعد المكاني والغربة؛ إذ يحظى المسافر بمحبة وقبول أكثر عند غيابه.
.3	زَاوِرْهُمْ وَلاَ تُجَاوِرْهُمْ	مكاني	49	يُضرب في المجاورة السكنية؛ مبيناً أن التباعد المكاني في السكن يقي الأقارب من المشاكل.
.4	آخِرْ الزّمَانْ لِحْبَارَةْ تَصِيرْ شَاهِينْ	زماني	43	يُضرب لتغير الأحوال وتقلب الموازين والأوضاع مع مرور الزمان.
.5	أَدّبْ وَلَدَكْ فِلْغَفْلَةْ	زماني	44	يبرز البعد الزماني في «الغفلة» (الوقت الخالي من أعين الناس) للتأديب المبكر قبل فوات الأوان.
.6	مَنْ أَدّبَ وَلَدَهُ صَغِيرًا سُرّ بِهِ كَبِيرًا	زماني	44	يعتمد على التتابع الزمني من مرحلة «الصغر» إلى «الكبر» وأثر التربية الممتد.
.7	أَحَابِي حَمَدْ لَأَجْلِ عُيُونِ مُحَمّدْ	اجتماعي	41	يجسد المحاباة والتقرب الاجتماعي لغرض معين إكراماً لشخص آخر.
.8	إِذَا بَغَيْتْ لِبْنِيّهْ عَلَيْكْ بِلْمَهِيّهْ	اجتماعي	47	يتناول المصاهرة وأهمية كسب مودة أم الفتاة (الحماة) وأقاربها للقبول الاجتماعي.
.10	اتّقِ شَرّ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ	اجتماعي	39	يعالج نكران الجميل والتغيرات في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد.

ISSN : 2410-1818

جدول تحليل الأمثلة وفق البعد المكاني والزماني والاجتماعي[1]

ثالثاً: الإطار المنهجي والأدوات التحليلية

يتبع الباحث في تقصي الأمثال العُمانية منهجاً وصفياً يتعامل مع الأمثال كما هي في واقع الاستعمال اللغوي، دون الخوض في وضع قواعد معيارية للحكم على المثل بالصحة أو الخطأ، باستثناء الأمثال المغرقة في السوقية والتي يرفضها المجتمع العُماني بوصفها من الهامشيات التي تدور على ألسنة من لا يجعل للمعيار الأخلاقي نصيباً في حديثه، فهذه الأمثال اُستبعدت من التحليل والدراسة.

وفضلاً عن ذلك، يركز البحث على بنية الأمثال وما تحيل عليه من مرجعيات؛ إذ لا يقف عند حد الإجراءات البنيوية (Structural) فحسب، بل يميل -بحكم طبيعة الموضوع والغائية المراد كشفها- إلى التوسل بالإجراءات التخاطبية التداولية (Pragmatic) التي تعتني بالمعطيات الخارجية للملفوظ والسياقات المقامية والتأويلات المصاحبة له، مع الاستئناس بالتفريق المفهومي بين **البنية السطحية** و**البنية العميقة** كما كرستها أدبيات المدرسة التوليدية (Generative).

1- إشكالية التعامل مع الأمثال بحسب استعمالها

يتضمن التركيب المثلي تقنيات بيانية يستعملها الإنسان كملفوظات تُقرب إلى ذهن المتلقي المسائل التجريدية بصيغة محسوسة لكي يعي المتلقي المعاني والمغازي المكنونة في هذه الملفوظات، فقد يميل المتكلم إلى التشبيه لسهولته على المتلقي من حيث الفهم، ولكنه في أحيان أخرى يجد نفسه مضطراً لاستعمالات متعارف عليها في المجتمع اللغوي تنبعث من هذه الملفوظات استلزامات وظلال للمعاني يكون إنجازها في النفس أكثر دقة على الرغم من صياغتها التخييلية، لكن المتلقي يتعامل معها تعاملاً حقيقياً، ولا يهمل المتلقي هذه الملفوظات حتى وإن كانت ذات سمة تخييلية مبالغة، وعليه يرى سورل (Searle)أن «المخاطب في القول الذي يظهر في الخطاب التخييلي يوهم أنّه يقوم بإخبار بفعل أو هم أو زعم ينبغي أن يفهم بمعنى أن المخاطب في الخطاب التخييلي لا يسعى إلى مغالطة مخاطبه بخصوص التزامه ولا بخصوص نياته ».[2] فلا توجد في التراكيب البيانية نية المغالطة مثل الكذب، وإنما يرمي المتكلم إلى التأثير في المتلقي ليغريه أو يحذره أو يمدحه أو أي غرض آخر، ومن رحم هذه المغازي يختفي المقصود، فيظهره المخاطب بهذه الكيفية التخييلية، فيستمده المتلقي من بين السطور. إن المعرفة بالأعراف اللغوية للمجتمع اللغوي الواحد سبيل ناجع لتحديد المقاصد من التقنيات البيانية والأمثال، وعلى سبيل المثال يمكن تفكيك التشبيه أو المثل كقولنا: "صافحت اليوم ثعلبا" من خلال ثلاث عمليات:

---

[1] – ينظر: الحميدي، خليفة بن عبد الله بن سالم. أقوال عمان لكل الأزمان.

[2] – موشلر جاك – ريبول آن. القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2010م (ص: 467).

ISSN : 2410-1818

1- معرفة المواضعات اللغوية.

2- الاستعانة بالأصول المنطقية.

3- تحليل الأصول التخاطبية.

ونقصد بالمواضعات اللغوية ما تعارف عليه الناس من مفردات وتراكيب، أما الأصول المنطقية فهي القواعد المنطقية العامة التي لا يختلف عليها الناس مثل التناقض والتضاد والانسجام وغيرها، أما الأصول التخاطبية فهي الأعراف المتداخلة في المجتمع اللغوي الواحد. وعليه عندما نعرض الجملة السابقة على هذه العمليات التخاطبية فإن المتلقي يتلقى الرسالة اللغوية مفككة فتنعكس في ذهنه هذه المواضعات؛ أي (صافح: طريقة للسلام+ ت: تاء المتكلم+ اليوم: ظرف زمان+ ثعلبا حيوان بري)، لكن الأصول المنطقية تمنع من إيراد هذا المعنى الحقيقي، فيلجأ المتلقي إلى التأويل فيستنتج المعنى الآتي: (صافحت رجلا ماكرا)، ولكي يطمئن المتلقي من صحة استنتاجه يعرض الجملة على الأعراف المختزنة في ذهنه، ويتأمل طرائق المتكلم في الحديث فإن كان المتكلم مادحاً فيمكن استنتاج المعنى السابق، ولكن إن كان المتكلم متهكماً فإن المتلقي سيفهم فهماً آخر. وتأسيسًا على ما سبق، فإن الأمثال بطبيعة مبناها ومعناها تكون مرهونة بالاستعمال، والوصول إليها يتطلب معرفة قواعد استعمال المتكلم لها. فعلى الرغم «من أنّ الاستعمال محكوم مبدئيًّا بالقيود المفروضة عليه من الوضع، فإن المتكلمين لا يلزمون أنفسهم بالجانب المثالي للغة، ذلك الجانب الذي يلبي مقتضيات الوضع، بل إن انتهاك حرفيّة اللغة ربما كانت أمرًا بدهيًّا »[1]

وقد تفطن الإمام السكاكي (ت 626 هـ) إلى هذه المسألة بأنها مسألة تندرج تحت البحث عن نظام الخطاب، فتظافر الأدوات البيانية في الأمثال تُشكل بنية تُسبك سبكًا يتصل فيه المبنى مع المعنى ويتضح من خلال التحليل العقلي. وفي هذا يقول: «وإذا قد تحققت أن علم المعاني والبيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام ومعرفة صياغات المعاني ليتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام بحسب ما يفي به قوة ذكائك، وعندك علم أن مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها وشعبة فردة من دوحتها علمت أن تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان»[2].

فهذا الاستشهاد ينطوي على توجيه منهجي ينبغي تتبعه، وهو تحليل الأمثال تحليلاً بيانيًا وعقليًا، وأن الإخفاق في حمل المثل على مقصود المجتمع اللغوي نابع من الظن أنها عبارات بيانية تتوسل الخيال وليس لها سمة إنجازية بحسب شكل أفعال الكلام (speech acts[3]) فإذا كان الأمر كذلك، فإن

---

[1]– علي، محمد محمد يونس، علم التخاطب الإسلامي، ص62

[2] – أبو يعقوب، السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، دن، ص182

[3] – ينظر، موشلر جاك – ريبول آن، تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2020، ص141–171.

ISSN : 2410-1818

المنهجية التي يراها الباحث سوف تتعدى التصنيف التقليدي للأمثال إلى منهجية تتبع نظرية المسالك والغايات.

وسوف نوضح حركة الأمثال في سلطنة عمان في جداول للوقوف على دينامية المثل الشعبي، وكيف يسير الملفوظ فيه من التخييل إلى الإنجاز بتحليل المسلك مرورًا بالمعنى فالقصد والغرض والغاية من خلال الأمثال الشعبية.

وبما أن الأمثال تُسبك بأقوال العامة فهي أقرب للنظام اللهجي من الفصيح، ولا يخفى إن دراسة اللهجات تمثل مدخلاً طبيعيًا لسبر أغوار اللغة المستعملة، كما تساعد على معرفة أطوار النشأة وعوامل التغيير اللهجي الذي يحصل بين لهجة وأخرى.[1] فثمة تنوع تعبيري يظهر بين منطقة وأخرى، وهناك تشابه بين تركيب وآخر وخصوصًا عند المناطق المتشابهة في البيئة، ومثال ذلك قول منتشر في معظم مناطق محافظة جنوب الشرقية حين يُطلق على الشخص عديم الفائدة فيقال: «فـلان تفق برزة»[2] .فهذا المثل الشعبيّ يكاد يُلفظ بكيفية واحدة في معظم مناطق السلطنة، لكن ثمة معنى منتشر بين الجميع وهو (الضعف)، ونلاحظ أن هذا المعنى يُسكّنُ في مواقف متعددة مثل: الشخص عديم الفائدة، والشخص ذو الشخصية الضعيفة، والشخص الذي لا يملك رأيًا ولا موقفاً. فالتنوع يظهر في المراد الفعلي المساوي للمقام التخاطبي، ولكن الغاية واحدة وهي (التوبيخ). فحينما نتعامل مع المثل باعتباره ملفوظًا مكانيًا اجتماعيًا فإن حركة معانيه تتعدى المبنى إلى المعنى، لكن المعنى يدخل في سيرورة متوالية يمكن رصدها بحسب الأنموذج التحليلي الآتي:

المثل الشعبي: «لَا أحَابِي حَمَدْ لَأَجْلِ عُيُونِ مُحَمّدْ»[3] دواعي إلقائه في العادة ردة فعل كلامية، والمعنى المعجمي المراد منه: مجاملة شخص اسمه حمد لأجل محمد، أما الغرض يجسد المحاباة والتقرب الاجتماعي لغرض معين إكراماً لشخص آخر. ونلاحظ هنا أن البيئة لعبت دورًا مهمًا في انتقاء الألفاظ؛ فالعماني يشاهد يستثمر أسماء أشخاص متداولة في المجتمع، يجمع بينهما صيغة صرفية متشابهة لغرض التماثل الصوتي ويسر نطق المثل، لكن في وقت ذاته يرفض المحاباة، فيتخذ هذا الأمر أنموذجًا يلصقه على الأفراد الذين يميلون ظلما لا عدلا بهذه الكيفية من التحليل اللغوي ومن ثمَّ التحليل الحضاري نصل إلى المعنى المعجمي الذي استقر في أذهان المجتمع اللغوي الواحد، ثم نكتشف دواعي الإلقاء والمراد منها، فإذا بنا نفهم الغرض والغاية من المثل وللوصول إلى المعنى في صورته الشاملة لا بد لنا من انتهاج هذا النهج القائم على الاعتماد على المبنى والمعنى. ومن الملحوظات المهمة في دراسة الأمثال في الاستعمال

1 – سمبس، أميرة زبير رفاعي. الخصائص اللغوية للهجة الحجازية مستمدة من الأمثال الشعبية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة – كلية اللغة العربية وآدابها، ص 1-3.

2 – برزة: مجلس، ينظر الحبسي، عبدالله بن صالح، معجم المفردات العامية العمانية، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، ط3، 2015، ص53.

3 – ينظر: الحميدي، خليفة بن عبد الله بن سالم. أقوال عمان لكل الأزمان. ص41

ISSN : 2410-1818

اللهجي أن المتلقي لا يلتفت للمعايير النحوية والصرفية الفصيحة، ويستبدل ذلك إعمال الحس اللغوي المختزن في الأذهان، فتنضبط اللغة في ذهنه إن كان من المجتمع اللغوي الذي صدر منه المثل من حيث استقامة التراكيب. لكنه يحرص كل الحرص على دراسة «العلاقات العرفية التي تربط بين المفردات وبين معانيها».

فعندما تتوافر بين المتخاطبين جل المستويات اللغوية (معجم، نحو، صرف، دلالة) وفق ما يُستعمل، فإن مقاربة المثل وفهم مضامينه لا يُعدُّ صعباً، وإن أخفق المتلقي في إدراك أحد الوظائف السابقة فإنه يصل إلى معانٍ مخالفة لمقصود المتكلم. وينشأ الإخفاق في فهم حيثيات الأمثال العامية من عدة طرائق؛ فأحيانًا من المنطوق الصوتي (فبين لهجة وأخرى اختلاف في النطق)، وأحيانًا أخرى من الاختلاف البيئي. ومثال ذلك قولهم: «على عين جت تشرب معورى / على جاه الجت تشرب المعورة[1] ».

فـ (المعورة) نبات يُستخدم لعلاج العين وهي من فئة الحشائش تنبت مع القت فتشرب معها، والمراد من هذا المثل الحث على الإكرام سواء للكريم أو غير ذلك؛ لأن صفة الكرم لا تتحقق في الفرد إلا إذا سمت مترفعة عن منع هبات الكرم على فئة دون غيرها مهما كانت سوء هذه الفئة. ونلاحظ أن المنطوق الصوتي أحيانًا يكون ملبساً؛ فكلمة (جت) تعني نبات القت، فهناك من يلفظها بحرف الجيم ومنهم بحرف القاف، وكذلك الاختلاف البيئي، فنبت المعورة لا يعرفها كثير من ساكني المناطق الساحلية. ولذلك يلزم على دارسي الأمثال أن يبذلوا الجهد في الإحاطة بتنوعات اللغة ومقاماتها السياقية. وقد يحدث الإخفاق عندما تُحمل الأمثال بمعناها الحرفي؛ لأن المثل يتوسل المجاز والصورة التلميحية ولا يكون حرفياً، وسنلاحظ أنها تأتي أحيانًا مباشرة، وأحيانًا أخرى مغرقة في المجاز؛ لكونها عنصرا بلاغيا يتوسل الجمال البياني، وهذا التعاطي يضع الأمثال في موضعها التخاطبي الاجتماعي فتتعاضد الأركان التخاطبية جميعها في فهمها وتحليل حركتها، «فالمخاطِب والمتلقي والخطاب والسياق كلها تُسهم بقدر ما في تشكلها وشيوعها في المجتمع اللغوي».[2]

نماذج تحليلية

سوف نتناول في هذا المبحث جملة من الأمثلة العمانية بالتحليل في ضوء نظرية المسالك والغايات لإعادة قراءة الأمثلة بالحفر في بنياتها الثقافية والاجتماعية من أجل الوصول إلى المرجعيات، فثمة مرجعيات فنية ونفسية وأيدلوجية تخدم جانبا اجتماعيا، ويمكن تتبعها من خلال المنهجية التي ذكرناها سالفا المعتمدة على افتراض أن الأمثال عمل مقصود يتداولها المجتمع وفق مسالك، وأغراض، وغايات ترمي إلى الإغراء لأمرٍ محمود أو تجنب أمر مذموم أو ترسيخ مبدأ أو استهجان سلوك مشين، ومن أمثلة ذلك ما حصرناه على سبيل التمثيل لا الحصر ما يأتي:

---

[1] – الحميدي، خليفة بن عبد الله بن سالم. أقوال عمان لكل الأزمان. ص11

[2] – ينظر، علي، محمد محمد يونس، **المعنى وظلال المعنى**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 2، 2007م، ص8.

ISSN : 2410-1818

أ- فلان يده طويله: يستعمل العمانيون عامة المثال، والمتأمل له يجد أن له أصولا في العربية، فالعرب يستعملون اليد للكرم، والعطاء، وأحيانا للإسراف كما جاء في سورة الإسراء آية (29) (**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**) لكن الدلالة هنا انتقلت إلى شيء يمنع هذا العطاء، ويستحوذ عليه وهو السرقة، وعليه فإن مسار هذه الكناية سار على النحو الآتي :

الغاية	الغرض	المراد منها	المعنى المعجمي	دواعي إلقائها	المثال
التوبيخ	التحذير	فلان سارق	يده تمتد	الإخبار	فلان يده طويلة

ب- فلان جيبه مثقوب/ يده مثقوبة: يستعمل هذا المثل للدلالة على الإسراف والتبذير، ونلاحظ أن اليد هنا من اللوازم التي تلتصق بالمال انعكاسا للمُشاهد في الحياة الاجتماعية، فيستعير المتكلم من الواقع المشاهد هذا المثل ويُضمنها أغراضه وغاياته.

الغاية	الغرض	المراد منها	المعنى المعجمي	دواعي إلقائها	المثال
التوبيخ	التقليل من الشأن	فلان مسرف	يده لا تدخر	الإخبار	فلان يده مثقوبة

ج- فلان حار/فلان بارد: وهذان المثالان على طريقة نقيض، ويحملان معنى سلبيا، فالرجل الحار هو العصبي، والرجل البارد هو الرجل غير المبالي.

الغاية	الغرض	المراد منها	المعنى المعجمي	دواعي إلقائها	المثال
عدم التعامل	التحذير	فلان عصبي فلان مهمل	الرجل الشديد الرجل غير مبالٍ	الإخبار	فلان حار فلان بارد

د- فلان كلامه ثقيل/ لسانه طويل: وهذا المثال من الأمثلة المنتشرة في محافظة جنوب الشرقية، وهي تصف سلوكا مذموما في المجتمع العماني، فالرجل الذي لا يزن ما يتفوه به يكون كلامه ثقيلا على النفس، والرجل سليط اللسان يُكنى بأنه طويل اللسان.

الغاية	الغرض	المراد منها	المعنى المعجمي	دواعي إلقائها	المثال
التوبيخ	التحقير	فلان لا يزن كلامه/ سليط اللسان	ما يتفوه به غير مقبول	الإخبار	فلان كلامه ثقيل/ لسانه طويل

ه- فلان رافع خشمه/ دايس الناس: هذان المثالان يشيران إلى صفة مذمومة في المجتمع العماني، وهي الكبر والترفع عن الناس، فالمثال الأول يصف شكل المتعجرف الذي يرفع أنفه كبرا، وهي مشابهة لقوله تعالى في سورة لقمان، الآية :(18) (**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**)

ISSN : 2410-1818

وهنا يلجأ المتكلم إلى استثمار شيء محسوس يُلمح من لغة الجسد للتعبير عن صفة مجردة مثل الكبر.

الغاية	الغرض	المراد منها	المعنى المعجمي	دواعي إلقائها	المثال
التأثير	التنفير	الكبر	يرفع أنفه إلى الأعلى/ يطأ الناس برجله	الإخبار	فلان رافع خشمه/ دايس الناس

و- فلان عينه مائلة :وهذا المثال من الأقوال المنتشرة، وهي مستمدة من آية قرآنية في سورة غافر(**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**)، وتُشير إلى الخيانة.

الغاية	الغرض	المراد منها	المعنى المعجمي	دواعي إلقائها	المثال
التأثير	التنفير	الخيانة	انحراف في العين المجردة	الإخبار	فلان عينه مائلة

ز- فلان صدره واسع: يُشير هذا المثل إلى الرجل الذي يتقبل الآخر، ويستمع للرأي المخالف، ومن سماته عدم الغضب، وأخذ الأمور بالعقل دون تهور.

الغاية	الغرض	المراد منها	المعنى المعجمي	دواعي إلقائها	المثال
التأثير	الترغيب	الحلم والتأني في التعامل	اتساع الصدر	الإخبار	فلان صدره واسع

ح- فلان شال الدنيا في رأسه: ويُشير هذا المثل إلى الرجل الذي يتدخل في شؤون الآخرين، وكأنه يحمل في تفكيره جميع شؤون الدنيا، وقد تُحمل هذه الكناية معان مختلفة مثل: الرجل المتكبر، والرجل سيء الطبع، والرجل الانتهازي.

الغاية	الغرض	المراد منها	المعنى المعجمي	دواعي إلقائها	المثال
التأثير	التنفير	التدخل في شؤون الغير	يحمل هموم العالم من حوله في تفكيره	الإخبار	فلان شال الدنيا في رأسه

ط- فلان رأسه يابس: ويلفظ هذا المثل موافقة للمعيار اللغوي؛ لأن لفظة الرأس على الأرجح مذكر فتأتي الصفة مذكرة، وقد سمعت بعضهم يقول: فلان رأسه يابسه، ويبدو هذا من الاختلاف اللهجي بين الناس، وتُشير إلى معنيين الأول: الرجل العنيد، والثاني: الرجل الذي لا يستيقظ بسهولة، ويتحدد المعنى المقصود من استحضار المقام التخاطبي الذي قيلت فيه هذه الكناية.

الغاية	الغرض	المراد منها	المعنى المعجمي	دواعي إلقائها	المثال
التأثير	التنفير	العناد/ عدم الاستيقاظ	ثقل الرأس	الإخبار	فلان رأسه يابس

ISSN : 2410-1818

ك- فلان يلاكش الذباب: ويشير إلى الرجل صاحب المشاكل الكثيرة المفتعل لها دائما، ونلاحظ أنها استمدت مشهدا من الواقع حين يتجه الإنسان إلى الانشغال بالذباب، وهي حشرات لا تستحق الاهتمام، لكن ذلك الرجل اعتاد على المشاكل، فإن عدمها اصطنع مواقف لإثارتها، ولو عند هذه الحشرات الصغيرة، ولا يخفى على المتلقي بأن هذه الكناية تحمل مبالغة من أجل التشنيع على هؤلاء الذين لا يسلم منهم المجتمع.

الغاية	الغرض	المراد منها	المعنى المعجمي	دواعي إلقائها	المثال
التأثير	التنفير	كثير المشاكل	يضرب الذباب	الإخبار	فلان يلاكش الذباب

الخطاب المثلي الشفاهي في سلطنة عُمان

تتداول في سلطنة عمان طائفةٌ من الأمثال الشعبية التي لا تنفصل في بنيتها الكلية وخصائصها المنهجية عن الموروث المثلي في سائر ربوع سلطنة عُمان؛ غير أن ما يميّزها هو انبناؤها على صياغاتٍ مجازيةٍ مكثفةٍ تستدعي، لفك شفراتها الدلالية، إلمامًا دقيقًا بالأعراف الاجتماعية والسياقات الثقافية المحلية. فتركيبها الأسلوبي يقوم على مواضعاتٍ صوتيةٍ ولهجيةٍ قد تتمايز في نطقها عن المعجم العربي الفصيح، مع حفاظها على ارتباطٍ وثيقٍ بالبيئة العُمانية ومفرداتها المعيشة؛ إذ تخلو من الألفاظ المهجورة أو مظاهر الازدواج اللغوي المتكلف، لتغدو بذلك ملفوظاتٍ تداوليةً تستمد مادتها التصويرية من صميم الواقع البيئي والاجتماعي. ومن أبرز الشواهد الدالة على ذلك ما يأتي:

أ -يوم السلعة تباع ف السوق ايش منتك على مخلوق.

يُوظّف العُمانيون هذا المثل الشعبي في تفاعلاتهم اليومية بوصفه ملفوظاً تداولياً ذا قوةٍ إنجازيةٍ توجيهية، ترمي إلى الحثّ على الترفّع وعزّة النفس والاستغناء عن أفضال المخلوقين. وينطوي هذا الخطاب في بنيته العميقة على حمولةٍ قيميةٍ وتربويةٍ وعقديةٍ تتجاوز الدلالة المعجمية المباشرة لتؤكد مبدأ السموّ الذاتي وضرورة الاستقلال الاقتصادي والمعنوي؛ مقرّرةً أن كرامة الفرد تتحقق في السعي والكدّ وكسب العيش من عرق جبينه، صوناً لذاته من الوقوع تحت طائلة المنّة والتبعية للغير.

وعلى مستوى المقاصد التخاطبية، يتعدّد الأداء التداولي لهذا المثل تبعاً لاختلاف المقامات والسياقات؛ إذ ينجز أفعالاً كلاميةً تقويميةً تتوزع بين اللوم، والتوبيخ، والزجر، فضلاً عن توظيفه بوصفه آليةً حجاجيةً لتوجيه السلوك الفردي نحو ترسيخ ثقافة الاعتماد على الذات.

ISSN : 2410-1818

ب -الحي يحييك والميت يزيدك غبن.

يُوظَّف هذا المثل الشعبي في التداول اليومي داخل البيئة العُمانية بوصفه ملفوظاً ذا قوةٍ إنجازيةٍ توجيهية، ترمي إلى ترسيخ معايير الكفاءة والأمانة في انتقاء العناصر البشرية المنتجة وإسناد المهام إليها. ويرتكز البناء الحجاجي للمثل على مقابلةٍ دلاليةٍ واضحة بين طرفين: الأول هو العامل الجادّ والنشيط الذي يضفي على العمل الموكول إليه حيويةً وإتقاناً يضمنان جودة المخرجات، والثاني هو المتخاذل أو الكسول الذي يُعدّ وجوده معوّقاً للإنجاز ومُفضياً إلى إفساد الأعمال والإخلال بمعاييرها.

وعلى المستوى التداولي، يؤدي هذا الخطاب وظيفةً تقويميةً واستشاريةً في المقامات المهنية والاجتماعية؛ إذ يُستحضر بوصفه قاعدةً سلوكيةً لتحفيز الهمم، ونبذ التواكل، وتوجيه المتلقي نحو تغليب الكفاءة العملية على المجاملات الاجتماعية.

ج -الي م ينالها، حامضه.

يُتداول هذا المثل بصيغٍ تعبيريةٍ متقاربة في سلطنة عُمان وسائر دول الخليج العربي، ليجري مجرى الأمثال السائرة؛ ومن أشهل أمثلته قولهم: (اللي ما يطول العنب حامض عنه يقول). ويحمل هذا الملفوظ محتوىً أخلاقياً وتربوياً يتنافى مع منظومة القيم الإنسانية والمجتمعية التي تأبى بخس الناس حقوقهم أو الاعتداء عليها. كما يُوظَّف تداولياً في سياق رصد الحالات التي يُعمد فيها إلى تبرير الفشل، والتنصل من المسؤولية، وإلقاء التبعة على ظروفٍ محيطةٍ واهية، مما يكشف عن حالةٍ من العجز الإرادي وافتقار هذه الفئة إلى خصلة المكابدة والكفاح.

وعلى المستوى التداولي، يشتغل هذا المثل بوصفه فعل كلام إنجازي يُشير إلى التعريض والنقد الاجتماعي الساخر؛ إذ يعكس بلاغة التكثيف الدلالي في الخطاب الشعبي العُماني، حيث تُستثمر الاستعارة المادية المستمدة من البيئة (قصة العنب والثعالب) لإسقاطها على السلوك البشري والنفسي. إن البنية الحجاجية لهذا المثل لا تتوقف عند حدود التوصيف الظاهري لحالة العجز، بل تتجاوزها لتشكل آلية دفاعية نفسية واجتماعية (المبررات الواهية)، مما يجعله نصاً تراثياً حياً يكشف عن البنى المضمرة في الوعي الجمعي تجاه مفاهيم السعي، والإخفاق، والمسؤولية الأخلاقية.

د- أدور من ماء ياني من السماء، أدورها عندي وياتني من السماء.

وقد يرد هذا المضمون بصيغٍ تعبيريةٍ أخرى في الذاكرة الشعبية، من ذلك قولهم: (أدورها من السماء وحصلتها في الأرض)؛ وهي صيغةٌ تتسم بوضوح دلالي أكبر؛ إذ توظَّف لتوصيف الشخص الذي يُكلف نفسه عناء البحث عن الشيء القريب بطرقٍ ملتويةٍ ومعقدة، مفتقراً إلى المنهجية الطبيعية والتفكير المستقيم. وغالباً ما يحمل هذا الملفوظ في طياته دلالاتِ التهكم والسخرية والتحقير، باعتبار هذا السلوك ضرباً من اللاوعي أو غياب الاتزان المعرفي والعملي.

ISSN : 2410-1818

وعلى المستوى التداولي، يشتغل هذا المثل بوصفه آليةً نقديةً تقويمية تفضح اختلال التفكير العملي لدى الفرد (التعقيد غير المبرر)، حيث يُستثمر التضاد المكاني (السماء/الأرض) لإبراز المفارقة الصارخة بين الجهد المبذول والنتيجة المتاحة، مما يجعله خطابات حجاجياً ساخراً يعاقب السلوك العبثي ويعزز قيم النجاعة والبساطة في التفكير والسلوك.

ه -عقب الماي، تبلل بالثرى.

يُستثمر هذا المثل الشعبي في البيئة العُمانية بوصفه ملفوظاً تداولياً ينزاح دلالياً من مجاله الفقهي الأصلي المتعلق بأحكام الطهارة (باب التيمم) إلى فضاء دلالي تداولي رحب يُعنى بالتعبير عن الحسرة والندم على التفريط في الأشياء الثمينة وفقدانها. وحين يُلجأ إلى التراب بديلاً عن الماء في بنية المثل، فإن الخطاب يشتغل وفق آلية "التناص الفقهي"؛ ليوظّف الحكم الاستثنائي (البديل عند العجز) دليلاً استعارياً على حالة العجز والاضطرار التي يُصاب بها المتحسر، مما يضفي على الموقف شعوراً عميقاً بالغبن وفقدان المورد الأصلي.

و -اضرب المربوط يهابك المفتلت.

شاع هذا المثل الشعبي وجرى مجرى الحِكم السائرة، وهو يُشير في ظاهره إلى مبدأ الردع الوقائي؛ أي اتخاذ معاقبة "المربوط" (البريء أو المقيد) عبرةً للآخرين. بيد أن الفحص النقدي للبنية الثقافية العميقة لهذا الملفوظ يكشف عن تصادمه الصريح مع الثوابت الشرعية والأخلاقية في الإسلام؛ إذ يقوم المثل على التعميم والمؤاخذة بالظن، وهو ما يناقض القاعدة القرآنية المحكمة: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾، **وقوله تعالى في سورة المائدة (الآية: 8):** ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾. وعليه، فإن المسوغات التداولية التي يروّج لها هذا المثل تنطوي على حمولةٍ قيميةٍ تقوّض مبدأ العدل الفردي وتُشرعن للظلم بدعوى الوقاية.

ولا شك أن هذا المثل يُستعمل استعمالا سليما من الحث على الظلم بحسب تسكينه في واقعة من الوقائع المعاشة.

ح -لا نفعني لا أخويه ولا إخواني نفعني الي ف ثباني.

ومن الأمثال الشعبية الدالة قولهم: (لا نفعني لا أخويه ولا إخواني، نفعني الي ف ثباني)؛ إذ يحمل هذا الملفوظ دلالاتٍ متعددةً حول مفهوم السند والدعم في أوقات الأزمات؛ فقد ذهب بعضهم إلى أن المقصود هو "الولد" (بناءً على مقابلة الأخ والإخوة)، في حين يرى فريق آخر أن المقصود هو "المال المدخر" لليوم الأسود، وفي هذا المعنى يقول القول الشعبي:

ما ينفعك يا أخوي في زمانك خال ولا بن عم ولا ثبانك ما ينفعك غير اللي في هميانك

ISSN : 2410-1818

وعودةً إلى الإطار المنهجي المعتمد في هذا البحث، فإن المقام التخاطبي والسياق الموقفي هما الفيصل في تحديد المعنى المراد وتوجيهه. أما على مستوى الغاية والغرض، فهناك اتفاق موضوعي؛ إذ يدعو المتكلم من خلال هذا المثل إلى التخطيط الاستباقي للمستقبل، والتحذير من مغبة الركون المطلق إلى الآخرين في الأيام الصعبة.

وفي السياق الدلالي ذاته، يتوافق هذا المثل مع قولهم: (خدم ف الشمس وكل ف الظله)؛ وهو ملفوظٌ تداولي يدعو إلى اغتنام فترات السعة والنشاط، وتوظيف الجهد في الكسب والادّخار تحسباً لنوائب الدهر وأوقات العسر.

وبصورة عامة، تعكس هذه الشواهد سمة بارزة في الثقافة العُمانية تتمثل في الدعوة إلى الحذر، وعدم الركون إلى الترف، والجاهزية الدائمة لمواجهة أي طارئ معيشي.

ط -يأت الفره ف ويهه عقاب.

وقد يُشكل هذا التعبير اللهجي على بعض الباحثين بسبب ظاهرة "الإبدال الصوتي" المتمثلة في قلب الحيِّز الصوتي لحرف الجيم إلى ياء (مثل نطقهم للفظة)، وهي من الخصائص اللصيقة ببعض لهجات مناطق جنوب الشرقية. وحين نردُّ اللفظة إلى أصلها الفصيح، يتبين أن أصل العبارة هو: (جاءت الفُرة وفي وجهها عُقاب)؛ وتعني أن الفرد حين أُتيحت له فرصة الإفلات أو الهرب، واجه حظاً عاثراً؛ إذ تصدّاه طائر جارح يتربص به. وتُوظَّف دلالياً للإشارة إلى الإنسان سيء الحظ، الذي لا تكاد تلوح له سانحةٌ إلا وتتبدد وتذهب أدراج الرياح.

ك -اللي يخلي عمره حب تلقطه دياي.

ويشترك هذا المثل مع سابقه في اشتماله على ظاهرة الإبدال الصوتي المتمثلة في قلب الجيم ياءً؛ إذ يُتداول في عددٍ من أقطار الخليج العربي بصيغة: (اللي يخلي عمره حب تأكله الدجاج). ويُوظَّف هذا الملفوظ دلالياً لتوصيف الفرد الذي يهدر كرامته ويبخس ذاته قدرها، فيغدو في نظر محيطه كالحَبِّ المنثور على الأرض، مستباحاً ومهاناً تلتقطه الدواجن. أما على المستوى التداولي، فيتمحور الغرض التخاطبي لهذا المثل حول "التحقير" بوصفه آليةً حجاجيةً تهدف إلى "التنفير" من سلوك الذل والهوان، وحثّ المخاطب على صون كرامته وتعزيز اعتزازه بذاته.

ل -من يا ونجر م تبقى ف الشجر حجر /لو كل من جاء ونجر ما تبقى في الوادي شجر.

يُوظَّف هذا المثل الشعبي للتأكيد على ضرورة إتقان الصنعة وتجويد الأداء، محذراً من أن التفريط في معايير الكفاءة يفضي إلى فساد العمل وتردي مخرجاته، وقد ورد هذا الملفوظ بصيغتين لفظيتين متقاربتين كما هو موضح أعلاه. ويُلحظ أن البنية القيمية لهذا المثل تتناصُّ وتتسق مع التوجيهات

ISSN : 2410-1818

الشرعية التي تحثُّ على إحسان العمل وإتقانه، وتدعو إلى استئمان ذوي الكفاءة والخبرة وأرباب الحِرف المتقنة.

م -العين بصيره واليد قصيره.

يُوظَّف هذا المثل الشعبي السائر: (العين بصيرة واليد قصيرة) للتعبير عن التناقض القائم بين الرغبة الصادقة في البذل والمساعدة، وبين ضيق ذات اليد ومحدودية القدرة المادية أو التنفيذية؛ حيث تتطلع الآمال والمقاصد إلى العطاء، غير أن الإمكانات المتاحة تقف عائقاً دون تحقيقها.

وعلى المستوى التركيبي والدلالي، يرتكز بناء هذا المثل على آلية "المقابلة" والسجع المتوازن بين شطريه (بصيرة / قصيرة)، مما يكسبه إيقاعاً صوتياً ورسوخاً في الذاكرة الجمعية. كما يستثمر المثل "المجاز المرسل" القائم على توظيف أجزاء الجسد (العين واليد) بوصفهما رمزين معرفيين؛ إذ تمثل "العين البصيرة" سعة الإدراك، ووضوح الرؤية، وتوفّر النية الحسنة، في حين ترمز "اليد القصيرة" إلى العجز المادي أو انحسار الحيلة والقدرة على الإنجاز.

أما من المنظور التداولي، فيؤدي هذا الملفوظ وظيفة "الاعتذار اللبق" و"تبرير التقصير غير المقصود"؛ حيث يلجأ إليه المتكلم في مقامات الطلب أو الاستغاثة لرفع الحرج عن نفسه أمام المخاطَب، مؤكداً أن الامتناع عن العون ليس نابعاً من الشحّ أو الإعراض، وإنما هو نتيجة قاهرة لقصور الوسيلة، مما يجعل المثل أداةً تواصليةً تحفظ ماء الوجه وتصون الروابط الاجتماعية في البيئات التي تُعلي من قيم الكرم والنجدة.

ن -من يا بلا داعي.. جلس بدون فراش / اللي يي بدون حواش يبات بلا فراش.

يُتداول هذا التعابير الدالّ (بدون فراش / يبات بلا فراش) في سياق التأكيد على أدب الزيارة واجتناب التردد على البيوت دون دعوة مسبقة أو إذن صريح؛ وهي خصلة تأنفها الأعراف الاجتماعية في البيئة العُمانية عامة، لما تعكسه من إخلالٍ بخصوصية البيوت وتعدٍّ على آداب الضيافة. ويكشف هذا الملفوظ عن حسّ راقٍ وذوق تداولي عالٍ في تنظيم العلاقات الاجتماعية، وترسيخ ثقافة الاستئذان وصون الاحترام المتبادل بين الأفراد.

س -الاسم شايع والبطن جايع.

ويستمد هذا المثل جذوره من التراث العربي الفصيح، متأثراً بالمثل السائر: (أَنْ تَسْمَعَ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ)؛ ليتحول في اللهجة الدارجة بمحافظة جنوب الشرقية إلى تعبيرٍ تداولي يُوظَّف للإشارة إلى من تفوّقت شهرته وصيته على صورته المادية وهيئته العيانية، بحيث لا تتناسب تلك الهيئة مع الانطباع المسبق الذي شاع عنه. ومما يُميّز هذا الملفوظ مرونته التداولية واتسامه بالطابع الحجاجي؛ إذ يصح استثماره في سياق الذم (حين يكون الصيت الضخم مخيباً للآمال مقارنة بالواقع)، أو في سياق المدح

ISSN : 2410-1818

(حين يتفوق الأداء الفعلي أو القيمة الجوهرية على مظاهر البساطة الظاهرة)، بحسب ما يفرضه المقام التخاطبي وسياق الحال.

ع -من طلب عز غير عزه يا ابليس وهزه /من يطلب عز عن عزه يأتي إبليس ويهزه.

وقد شاع هذا المثل الشعبي في التداول اليومي بالصيغتين اللفظيتين المذكورتين آنفاً؛ وهو يُوظَّف دلالياً لتأكيد قيم الترفّع وعزة النفس والأنفة، كاشفاً عن مفارقةٍ سلوكيةٍ مفادها أن من يلتمس العزة والمكانة في غير مواضعهما الحقيقية، أو يبتغيها عند غير أهلها، لا يجني من سعيه إلا الذلّ والهوان.

وعلى المستوى التداولي، يشتغل هذا الملفوظ بوصفه خطاباً تقويمياً رادعاً يرمي إلى صون الكرامة الفردية وضبط التفاعلات الاجتماعية؛ إذ يرسم المثل حدوداً أخلاقية واضحة بين السعي المشروع لطلب الرفعة، وبين التذلل الممقوت في مواطن لا تُحفظ فيها الأقدار، ليعكس بذلك عمق المنظومة القيمية في المجتمع العُماني التي تُعلي من شأن الإباء وترفض التبعية المهينة.

ف -طنف قشارك ولا تتفضح في جارك .

وقد يعتري هذا التعبير الشعبي شيءٌ من الغموض لدى غير المطلعين على مفرداته الدارجة النادرة، من ذلك استخدامهم لفعل الأمر (طنف) الذي يفيد طلب الاحتفاظ بالشيء وحيازته، وإلى جانب ذلك لفظة (قشارك) التي تُطلق على المقتنيات الشخصية والأمتعة المتفرقة. ويُوظَّف هذا المثل دلالياً للتحذير من إهمال المقتنيات وتركها سائبة عرضة للضياع أو السرقة، مؤكداً على قيمة العناية بالملكية الفردية وصونها من الإفلات.

ص -خذ من الغالي عشاك لين يهياك.

يُتداول هذا المثل الشعبي للدعوة إلى تحري الجودة وحسن الاختيار، والتأكيد على قاعدة اقتصادية واجتماعية مفادها: (خذ من الشيء أحسنه لكي يطيب لك)؛ إذ يوجه هذا الملفوظ العقل الجمعي نحو اقتناء أجود الأشياء وأنفسها، ولو ارتفعت تكلفتها المادية، انطلاقاً من أن الجودة تضمن الاستدامة وتجنب صاحبها مشابك التلف ومتاعب الإصلاح المتكرر. وبذلك يرسخ المثل ثقافة الاستهلاك الرشيد القائم على القيمة والمنفعة طويلة الأمد لا على الرخص العابر.

ق -اللي ما من دينك ما يعينك ولا يثمنك.

يُوظَّف هذا المثل الشعبي للتأكيد على أهمية التوافق الفكري والقيمي في بناء العلاقات والروابط الاجتماعية؛ إذ ينبّه إلى أن مخالطة من يباينك في الفكر أو العقيدة أو التوجه العام لا يُرجى من ورائها سندٌ حقيقي أو اعتمادٌ موثوق، ففي نهاية المطاف لن يمدّ لك يد العون، ولن يقدّر مساعيك حق قدرها، بل ستفضي هذه الصحبة غير المتكافئة إلى الخيبة والندم والحسرة.

ISSN : 2410-1818

وعلى المستوى التداولي، يشتغل هذا الملفوظ بوصفه خطاباً تحذيرياً واستشرافياً يرسم معايير الانتقاء الاجتماعي؛ إذ يُعلي المثل من شأن "التجانس المعرفي والأخلاقي" بوصفه شرطاً أساسياً لاستدامة التعاون والتعاضد بين الأفراد. وبذلك، يكشف المثل عن وعيٍ جمعيٍّ عميق يدرك أن تباين المنطلقات والمبادئ يولّد بالضرورة تصادماً في الغايات وتخلياً في أوقات الشدة.

ر -ابعد عن الشر وغني له.

هذا من الأمثلة المنتشرة في الخليج العربي وفي عمان، ويستعملها أبناء السلطنة بكثرة، وتُشير إلى تجنب طرائق الشر، والبحث عن السلام، وهنا نلاحظ أن كلمة الشر جاءت من حيث ظلالها الدلالية مضادة للسلام، وكأن المقصود منها المشاكل، فأُطلقوا الكل وأرادوا الجزء.

ولا يخفى أن فلسفة الابتعاد وعدم الاقتراب من الفواحش من الأصول التي حثا ديننا الحنيف عليها، كما هو الحال عند الخمر والميسر والزنى.

ش -كف ضحك لي خدعني.. وكف نصحني نفعني.

يُشير هذا المثل إلى مظهر من مظاهر التربية مفاده الشدة في المواضع التي تحتاج إلى شدة خير من الرفق المبالغ فيه، والدلال الزائد، فقد يشعر الطفل بالقسوة، ولكن هذه القسوة في الزمن المستقبلي ستكون له حصنا من الكثير من العقبات.

ت -الجمل جملنا وركبونا على الذيل.

يستمد هذا المثل الشعبي السائر: (الجمل جملنا وركبونا على الذيل) صورته المجازية من معطيات البيئة الصحراوية والبدوية، ويُوظَّف دلالياً لتوصيف حالات الاستغلال الصارخ ومصادرة الحقوق؛ حيث يعمد بعض الأشخاص إلى الاستحواذ على ممتلكات غيرهم أو مكتسباتهم، وتهميش أصحاب الحق الأصليين دون أدنى اكتراث أو تقدير، مستثمرين الفرص على حساب الآخرين. وتُعد هذه الممارسة سلوكاً مرفوضاً ومذموماً في المنظومة القيمية للمجتمع العُماني الذي يقوم على صون الحقوق، واحترام الملكية، ونبذ الانتهازية والاستغلال.

وعلى المستوى التداولي والبلاغي، يرتكز بناء هذا المثل على آلية "المفارقة الساخرة" و"القلب الدلالي للأدوار"؛ إذ يُبرِز التناقض الحاد بين شرعية التملك المتمثلة في صدارة الجمل وحق الانتفاع به (الجمل جملنا)، وبين واقع التهميش والإقصاء المتمثل في الإركاب على الذيل، وهو موضع الهوان والخطر. ويؤدي هذا الملفوظ وظيفةً احتجاجيةً واستنكاريةً تفضح اختلال موازين العدالة الاجتماعية، مما يجعله خطاباً نقدياً لاذعاً يُعبّر عن سخط المظلوم، ويُعرّي سلوك المتسلط الذي يحوّل صاحب الحق إلى تابعٍ في ملكه.

ISSN : 2410-1818

4- الخاتمة

بعد هذه الرحلة التحليلية في رحاب الموروث الشفاهي العُماني، يخلص هذا البحث إلى نتيجتين رئيستين تؤسسان لفهم أعمق لطبيعة الأمثال الشعبية وتداولها:

أولاً: نتيجة تداولية: مفادها أن الأمثال الشعبية ملفوظاتٌ مقاصديةٌ تتجوّز المعنى المعجمي المباشر إلى مقاصد وغاياتٍ أرحب عبر مسالك تداولية متعددة. وقد تجلّى ذلك بوضوح في الأمثال الدارجة في لهجة أهل السلطنة؛ إذ كشفت الدراسة عن كثافةٍ مجازيةٍ لافتةٍ في هذه الملفوظات العامية، وهي أمثالٌ لا تُعنى بالزخرف البياني أو الصنعة البلاغية بقدر عنايتها بـ إنجاز أفعالٍ كلامية، وترسيخ قيمٍ مجتمعية، ونبذ مفاهيم سلبية، وتقويم سلوك الأفراد. وعليه، فقد تجاوز هذا البحث ثنائية (اللفظ والمعنى) التقليدية، ليسير في ضوء "المواضعات والاستعمالات" التي يفرضها السياق التخاطبي.

ثانياً: نتيجة واقعية استعمالية (لهجية):

تُفيد بأن الأمثال الشعبية المتداولة في سلطنة عمان تتفق اتفاقاً شديداً في ثلاثة مستويات رئيسة، هي:

- المقصد التداولي العام.
- دواعي الإلقاء وسياقات الاستعمال.
- البنية المعجمية العامية المشتركة.

وفي المقابل، تتباين هذه الأمثال فيما بينها في جانبين أساسيين، هما:

- الغرض المباشر أو الغاية الموقفية (بحسب طبيعة الحدث).
- المستوى الصوتي (نتيجة التنوع اللهجي الدقيق بين ولايات المحافظة وبيئاتها البحرية والبدوية والحضرية، كظواهر الإبدال الصوتي وغيرها).

- **آفاق البحث وتوصياته:**

إن البحث التداولي في مدونة الأمثال الشعبية في سلطنة عمان هو بحثٌ ينطوي على نسبيةٍ عالية؛ فدواعي الإلقاء قد تتفاوت من بيئةٍ إلى أخرى، وأحياناً من متكلمٍ إلى آخر بحسب مقتضيات المقام التخاطبي. بيد أن القاسم المشترك الذي يجمع هذه الأمثال كافةً أنها تتميز بعراقةٍ تاريخية، وسجلٍّ ثقافي حافل، وتوصيفٍ دقيقٍ لبنية الحياة الاجتماعية والقيمية في عُمان.

ومهما تكن النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة، فإنها تُضمر في ثناياها دعوةً علميةً لفتح آفاق البحث في مدونة الأمثال الشعبية العُمانية بصفة عامة، وذلك في ضوء المناهج اللسانية والتداولية الحديثة؛ آملين أن تغدو هذه الورقة زاداً معرفياً ومنطلقاً منهجياً لمن أراد الولوج في مثل هذه الموضوعات، وتحليلها تحليلاً ثقافياً وحضارياً يخدم تراث سلطنة عُمان العريق.

والله تعالى ولي التوفيق، ومنه العون والسداد.

ISSN : 2410-1818

المصادر والمراجع:

- الحبسي، عبدالله بن صالح، معجم المفردات العامية العمانية، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، ط3، 2015م.
- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 2009م.
- السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ن. (أو د.ت)
- علي، محمد محمد يونس، علم التخاطب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2006م.
- علي، محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2007م.
- علي، محمد محمد يونس، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: نحو بناء نظرية المسالك والغايات، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016م.
- موشلر، جاك، وريبول، آن، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2010م.
- موشلر، جاك، وريبول، آن، تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2020م.
- هلال، عبدالغفار حامد، اللهجات العربية نشأة وتطوراً، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1998م.

ISSN : 2410-1818

مجلـــة الأندلـــس للعلـــوم الإنسانيـــة والاجتماعيـــة
مجلـــة دوليـــة شهـريـــة علميـــة محكمـــة
الترقيـــم الدولي الإلكتروني : ISSN 2410- 521X
الترقيـــم الدولـــي الورقـــي :ISSN 2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلـــة مفهرســـة فـــي المواقـــع الآتيـــة :

العام	2022	2023	2024	2025	2026
معامل أرسيف	0.1954	0.3759	0.3068	0.5978	0.4135
معامل التأثير العربي	1.73	1.25	1.55	1.59	1.58